

خطاب صاحب الجلالة
في الاجتماع العام للاتحاد النسائي المغربي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السيدات، حضرات السادة :

كم كنا ننتظر هذا اليوم الذي تتاح لنا فيه فرصة اللقاء بكن، أنتن أمهات أبنائنا، وعقيلات شبابنا.

أنتن الركن الأساسي من أركان بيوتنا، والدعامة الأولى لأسرتنا.

كنا ننتظر هذا اليوم لأننا قبل كل شيء غيورون على تاريخ المغرب، تلك الغيرة التي تريد من تاريخنا أن يكون تاريخاً متكامل الأطراف منسجما، ولم نكن لنريد أو لنأمل أو لنرضى يوماً من الأيام، أن يقال، إن في تاريخ المغرب حلقة مفقودة، ألا وهي حلقة العمل اليومي الدائم الدائب الذي يجب أن تقوم به المرأة المغربية، لم نكن لنرضي لكن ولأبنائكن، أن يقال عن مشاركتكن في تحرير البلاد، عن مشاركتكن في المقاومة، كانت تلك المشاركة حدثا من أحداث الزمان ثم انطفأت الشعلة، وخمدت النار، وسارت النساء المغربيات إلى ما تسير إليه النساء عادة إلى أشغال أخرى تلويهن عن الطريق وتنومهن بالنسبة للمشاكل الحية.

لم نكن نريد أن يقال ان المرأة المغربية، كانت حية من سنة 1945، إلى سنة 1955، ثم بعد ذلك نامت وتقلص ظلها وتقلص عملها وأثرها في المجتمع.

هذه هي الأسباب حضرات السيدات من الناحية التاريخية ومن ناحية الغيرة على تاريخنا التي جعلتني أكوّن جمعكم هذا الاتحاد النسوي، حتى تبقى حلقة السلسلة التاريخية مرتبطة بعضها ببعض.

ولكن هناك أسباب أخرى هي أسباب كانت دائماً وأبداً أسباباً تربوية واجتماعية، إلا أن الأحداث الأخيرة التي يعيشها القرن العشرون، وبالأخص الهيام والشك والتشكيك الذي يخامر شبابنا وأبناءنا وبناتنا أي رجال ونساء الغد، تلك الظاهرة التي ظهرت في دول من أرقى الدول والتي جعلتها تجتاز مراحل من أصعب وأخطر المراحل، هذه أسباب أخرى أكيدة ومهمة جداً دفعتنا لكي نسرع بهذا العمل حتى نتمكن جميعاً آباء وأمهات أزواجاً وزوجات شباباً وفتيات أولا من أن نحيط بالمشاكل ثم بعد ذلك نبحث لها جميعاً عن الدواء ثم أخيراً نسير يداً في يد للتغلب عليها حتى لا تقع في مجتمعنا أو حتى إذا وقعت لا قدر الله لا تقع بصفة حقيقية.

لا أخفي عليكم أنه في الوقت الذي قررنا فيه تكوين التجمع النسوي أبدى عدد من الرجال تخوفهم من هذه الحركة، لم يتخوفوا منها سياسياً ولا اقتصادياً ولكنهم قالوا إن نساءنا مترفعات علينا في المنزل، وسيدنا سيزيد من تثبيت هذا الترفع الذي وصلن إليه.

ولا يزال هذا التخوف موجوداً، ولقد كان جوابي : لا يوجد مغلوب إلا إذا رضي بذلك، والبيت الحقيقي يجب أن لا يكون فيه غالب ولا مغلوب، لا قوام ولا آخر أدنى منه.

إننا لن نعاكس آية القرآن الكريم التي تقول :

(الرجال قوامون على النساء) ولكن سنضيف إليها حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

(النساء شقيقات الرجال في الأحكام).

فإذا أدمجنا هذه الآية وفسرناها بهذا الحديث سنرى أن (قوام) معناها هو الذي يجب عليه أن يتعب وأن يكد وأن يجتهد ومقابل ذلك يجب أن يركن اليكن وأن يسكن إليكن وأن يجد فيكن الراحة التي تذهب عنه الحزن والتعب الذي يتكبده يومياً وهو يباشر مهام الدولة أو يقوت عياله، غير خاف عليكن الطريقة التي اتبعناها حتى نتمكن من تكوين هذا الاتحاد النسوي، لقد اخترنا منكن عدداً من السيدات وأمرناهن بالطواف عبر الأقاليم وجمع جميع النساء اللاتي يرغبن في المشاركة في هذا العمل ويفسرن لهن ما نرمي إليه وبالأخص يوضحن لهن نقطة مهمة جداً وهي أن عملنا هذا ليس بالعمل السياسي الضيق بل هو عمل سياسي واسع، فإذا نحن أخذنا بالاشتقاق نجد أن ساس الأمور بمعنى سيرها.

وواجبي بصفتي ملك هذه البلاد ومسؤولا عنكم أن أسوس الدولة بمعنى أسيرها، فالمعنى الذي نريد أن نعطي لهذا التجمع ليس المعنى السياسي الضيق المنتمي إلى حركة أو إلى هيأة أو إلى حزب، ولكن عملا جماعيا داخلا في نطاق السياسة العامة : ألا وهو السياسة التي معناها تسيير الأمور العامة، وقد طلبت منهن أن يؤكدن أن اختيارهن سيكون مبنياً على المقاييس الآتية :

1 ــ وعيهم الحقيقي للمشاكل التي سيدرسنها.

2 ــ حسن مواطنتهن.

3 ــ التواضع الداخلي والفكري والروحي نظراً للأعمال التي سنطلب منهن القيام بها.

4 ــ أن يكون لديهن إحساس وشعور عميق على أن من واجبنا أن لا نضيع هذا الوقت وانه إذا كان من الواجب أن يوجد الاتحاد النسوي فلابد أن يوجد.

وأضفنا إلى ذلك وقلنا ان على كل إقليم أن ينتخب مكتباً وأن مكاتب الأقاليم هي التي سأتصل بها ويمكن لي أن أقول لها نظريتي في الموضوع وحديثي إليكم سينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولا ــ ما هي الأعمال التي تنتظرها الدولة منكن بكيفية جماعية ؟

ثانياً ــ ما هي الأعمال التي تنتظرها الدولة منكن بكيفية خاصة بمعنى من كل واحدة في بيتها أو في حيها ؟

ثالثاً ــ ما هي قوانين التسيير الاداري الذي ستسرن عليه ؟

وما هي الرابطة الشكلية والقانونية التي ستبقى رابطة بيننا وبينكن والتي ستجعلنا نتتبع سيركن عن كثب وأنتن من جهتكن متى احتجتن إلى النصيحة أو الاتجاه تاتين للاتصال بنا لنمدكن بالنصيحة والاتجاه ؟

أعتقد أن مرحلة الأعمال الخيرية والأعمال البرية في القرن العشرين، قد انتهت، وبالأخص في المغرب الذي يعد دولة نامية تعدى هذا التفكير في العمل البري والعمل الخيري، لأن الدولة اليوم بالأخص في هذا الباب لم تعد لديها أية حشمة.

فقبل اليوم كانت الدولة هي الشاشية والسلهام والجلابة ولكن الدولة اليوم نظراً للمصاريف التي تقع على كاهلها والتي تتمثل في الممرضة أي اللباس الذي يوجد على ظهر الممرضة وفي الطبيب ولباسه وفي ذلك الشخص الذي يصلح الآلات والذي يدخل المزارع كي يعمل ويساعد الناس، بحيث الدولة أصبحت قائمة

بواجبها في هذا العمل البري الجماعي الذي يأخذ بيد الضعيف ويرحم المظلوم، ولكن هناك العمليات التي لا يمكن للدولة أن تقوم بها وإلا فستحتاج إلى جيش عرمرم من الموظفين.

هناك عمليات لا يمكن لأي مكتب من المكاتب حكومي أو إقليمي أن يكتشف فيها الداء ويبحث عن الدواء لاستئصال هذا الداء.

وهناك مشاكل حتى وإن كانت متشابهة في النوع وفي المظهر فهي مختلفة في السبب حسب الأقاليم أو الأسر أو المدن ولا يمكن للطبيب أن يكتشف نوع الداء ويجد له الدواء إلا إذا عرف السبب الحقيقي لأن العلاج لدى الطبيب ينقسم إلى قسمين :

فهناك الدواء الذي يجب أن يعطى في الحين لكي يشفي المريض.

وهناك الدواء الذي يجب أن يعطى حتى لا يعود نفس المرض.

وأفسر فأقول مثلا : الانسان عندما يصاب بأوجاع الرأس أول ما يعطيه الطبيب قرصاً من الاسبرين لكي يهدأ الوجع، ولكن ليس معنى هذا انه عالج المريض، بل يجب أن يعرف لماذا يأتي وجع الرأس هل من الكبد أو من المعدة أو من الأعصاب؟

فنحن في الرباط لا نرى سوى المظهر، فإذا ما وقعت مشكلة في المدرسة أو في المجتمع أو في منشئات برية كل ما يمكن لنا هو أن نعطي العلاج الذي يجب أن يعطى في الحين لكي يعالج المرض، ولكن نحن لا نعيش المشكل، فكيفما كانت أرواحنا معكن وكيفما كانت جوارحنا كلها منصرفة نحوكن لا يمكن لنا أن نعرف الداء في حقيقته، فأنتن اللائي سيمكنكن أن تعلن لي وللرباط حتى أقول أنا للمسؤولين ها هو العلاج الأساسي حتى لا يتكرر هذا الداء.

وهكذا كما قلت لكم يتطلب حسن المواطنة التي تجعل كل واحدة منكن تفكر بأن ولدها الذي يوجد في حالة جيدة كان من الممكن أن لا يكون كذلك ولكن ولد جارتها ليس على ما يرام وكما يقول العامة : «فرش لأولاد الناس فين يباتوا أولادك»، لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطالب بحسن الجوار ولكن أنا دائماً أفسر الأحاديث النبوية بتفسير القانون العام، فأقول حسن الجوار في القرية هو حسن المواطنة في الوطن.

لقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه، والمجاورة في القرية عند النبي صلى الله عليه وسلم هي المواطنة في الواقع، فهي تتطلب إذن المواطنة.

النقطة الثانية تتطلب التواضع، فالتواضع معناه أن من واجب كل واحد منا أن لا يقول إنني أرتدي اليوم لباساً جميلا فلا يمكن لي أن أذهب إلى مدن القصدير فاليوم هناك الوحل وسأبقى في منزلي.

حسن المواطنة هو انني إذا ما دخلت إلى بيت لأعلم أصحابه كيفية رضاع الطفل أو كيفية تلقيحه أو كيفية معالجته أن لا أشمئز من ذلك المجتمع أو ذلك البيت الذي سأدخله أو أن أرى الوسخ فأنكمش وأكفهر، إنني بعملي هذا خلقت تأثيراً أكثر من زلزال سياسي، وسأفسر ذلك.

المغرب ولله الحمد هو بلد نامي أقل طبقية، فلا يمكن لنا أن نقول بأن عندنا طبقية، فالطبقة الغنية منا تحسب على رؤوس الأصابع بالنسبة للثروات الموجودة في أوربا وأمريكا.

والطبقة الفقيرة المعوزة غير موجودة ولا أدل على ذلك انه حينما يذهب المرء إلى مدن القصدير ويدخل بيوتها فليحدق في السقف، فالتصبين عندما يكون منشوراً يعطي مستوى الساكن في البيت، فأنتين (الهوائي) الراديو أو التلفزيون هو مقياس الدخل الفردي للشخص الذي يسكن البيت.

ولكن لعدم تواضع امرأة وسع عليها الله بالغنى إذا ما دخلت واكفهرت من منظر بيت غير مؤثث تأثيثاً جميلا أو طفل غير نظيف، واكفهرت وتهربت منه ولم تساعد أختها فهذا هو الميز الطبقي الحقيقي، لأن هذه المرأة ستكون إذ ذاك خلقت سوراً فكرياً لا يمكن أن تحطمه الآلة ولا مدفع ولا سواعد، سور طلاق ونفور يصبح بين طبقتها وطبقة تلك التي دخلت عندها كي تساعدها.

قلت لكم إذن ان الأمر يتطلب حسن المواطنة ويتطلب التواضع ويتطلب العمل لله، معنى هذا أن التجمع النسوي ليس له موظفون فالعمل كله لوجه الله مجاني.

فقد وقعنا في مصائب أكثر من هذه، فلنا عدة مؤسسات خيرية منها ما هي ضخمة ومنها ما هو في المستوى البلدي والمستوى القروي، ولما بحثنا وجدنا أن جميع مداخيلها تصرف على موظفيها.

لقد كانت أسباب ولكنها أسباب سياسية ضيقة لا السياسة الكبيرة التي أحدثكم عنها، فالسياسة الضيقة التي جعلت تلك الأعمال الخيرية تصبح محل توظيف وتشغيل إلى حد أن جميع مواردها تذهب لاداء أجور الموظفين وأداء أثمان السيارات وعدد من المصاريف.

فعملنا سيكون إذن عملا برياً مجانياً وأضيف فأقول شيئاً آخر، لقد كنت أتحدث يوما ما مع مجموعة من سيدات مثريات وواخذت عليهن عدم العمل من أجل مساعدتنا نحن الذين نسوس هذه البلاد كي لا يقع هذا الميز الطبقي، فأجبنني بأنهن لا يقمن بأي شيء وأنهن لا يقمن بأي عمل سياسي وغير منخرطات في أية نقابة، فكيف يمكن لنا يا سيدنا أن تقول لنا بأننانشجع على خلق هذا الميز الطبقي ؟

فقلت لهن بلغني أنكن تقمن بالتزحلق على الماء، وقلت لهن تذهبن كل مساء للقيام بذلك، من يملأ لكن القارب بالبنزين أليس عاملا بالمرسى ؟ فأجبن نعم، فطالما أحصينا ساعة عمل القارب الذي يجر المتزحلق نجدها تكلف مبالغ طائلة فماذا سيقول ذلك العامل ؟ إما أن هذه السيدة رزقت أموالا لم تعرف ماذا تصنع بها فهي تنفقها في الماء، وأما أنه سيقول يعلم الله من أين يأتي زوجها بهذه الأموال، فها نحن وصلنا إلى من أين لك هذا ؟

قلت لهن : لو أنكن تزرن الحي المحمدي مرتين في الأسبوع ويراكن ذلك الشخص الذي يساعدكن في ملء قارب بالبنزين لما خطرت له فكرة : من أين لك هذا ؟ ولما واخذ عليكن تلك النعمة ولحمدها لكن، ولكن النعمة تدخل من جهة ولا تخرج من جهة أخرى بل يقع التبرج، فأنتن لا تعيننا سياسياً حتى نحافظ على الوحدة الطبقية للمغرب ونضمن عدم وقوع فوضى الاشتراكية الحمقاء الخرقاء المنبنية كلها على من أين لك هذا والتي تفقر الغني ولا تغني الفقير.

فهذا يتطلب منكن عملا يوميا وجهاداً نفسياً، ان تزرن الصغير وتأخذن بيد الضعيف، وتساعدننا في المبرات وتساعدننا في المستشفيات، فأنا مستعد أن آمر وزير الصحة بأن يخلق دروساً ليلية للتمريض حتى تتمكن كل من تريد تعلم التمريض ساعة أو ساعتين في الأسبوع أن تفعل ذلك ويمكن أن أخلق دروساً إضافية في وزارة الشؤون الاجتماعية وفي عدة محلات وسترون أن البرنامج الذي سأعرضه عليكن برنامج مهم جداً، سواء من ناحية

الصناعة التقليدية لأننا نرى عدداً من الفتيات منهن من تجاوزن سن الدراسة ومنهن من تجاوزن سن الزواج، ويمكن أن نخلق شكلا جديداً لدار المعلمة، ونحن مستعدون لخلق دروس للتمريض ودروس للطبخ ودروس للأخذ بيد الأطفال المشلولين والضعفاء، ومستعدون من باب الانماء والانعاش الوطني أن نعطي لكل امرأة في حيها مسؤوليتها اللازمة.

والحقيقة أن لديكن برنامجاً إذا ما رغبتن في القيام به فإن في إمكانكن أن تملأن فراغاً مهماً، ويجب أن لا يغيب عنكن أن نفس الشيء الذي كان أيام الكفاح ضد الاستعمار هو نفس الشيء الذي لايزال حقيقة من أهم الحقائق في أيام البناء وهو أن المجتمع الأشل لا يمكنه أن يبنى.

فكما أنه كان لمجتمعنا ذراعان ذراع الرجل وذراع المرأة في خوض معركة التحرير، فإن معركة البناء التي هي أطول وأصعب محتاجة لذراعين ذراع المرأة وذراع الرجل.

ثم يجب علينا أن نعرف أي جيل سنخلق للمستقبل ؟ أنا أفكر في الأبناء ولكن فكرت أيضاً يوما في البنات، فتساءلت أي شكل من أشكال المرأة التي سيتزوج بها ابني ؟ فما هو شكل النساء اللائي سيتزوجن بأبنائكن ؟ وأي نوع ؟ هل من النوع الذي لا تعرف طبخ سوى «قلم الرصاص» لأنها لا تعرف سوى القلم ؟ أو من النوع الذي لا تعرف حتى شراء الحاجيات لأنها جاهلة ؟ أو نوع مبني على التوازن بين ما يتطلبه الرجل مادياً من المرأة وما يتطلبه منها معنوياً، أنيسة البيت والمذاكرة، ولكن الركن هو السكن في الأكل والشرب وفي تأثيث البيت وفي المعيشة الحقة.

هذه مشاكل يجب عليكن التفكير فيها أنا أفكر كيف سيتخرج المهندسون وكيف سينشأ هذا الجيل الذي نشيد من أجله السدود والذي سيعمل غداً في هذه المعامل ولكن صرت كذلك أفكر هل أنا أعمل فقط للأولاد، لأنه عندما يأتي التوظيف ينصرف الذهن في الحين للرجال، وحتى إذا جاء توظيف النساء يأتي بنسبة قليلة جداً، فتبقى المرأة على العموم بدون شغل، وحتى التي من الله عليها بشيء من المال تبحث عمن يربي لها أبناءها، بحيث كيف ستكون هؤلاء النساء وهؤلاء الشابات اللائي من أجلهن نعمل واللائي من أجلهن تؤدون الضرائب لبناء المعامل والطرق والسدود التي تشيدها الدولة فحتى النساء مستهلكات فيجب عليهن أن يكن منتجات أيضاً، إننا نلزم أبناءنا بأن يكونوا منتجين ومستهلكين، ولكن لا نريد بأن تكون النساء مستهلكات فقط، لأننا فتحنا لهن المدارس وأعطيناهن المؤهلات ونعلمهن، والحقيقة أنه سيكون عملا مزريا بالنسبة لنا جميعا وعمل تبذير إذا كنا نصرف على المرأة مثلما نصرف على الرجل لكي تصبح المرأة في المجتمع المغربي عضواً مستهلكاً غير مثمر، هذا لا أرضاه كذلك من باب الغيرة بالنسبة للمرأة المغربية.

والشيء المهم من الناحية الفلسفية العامة، وأنا أؤكد من جديد، أنني معتمد على الأم والمرأة المغربية لتكون السد المنيع أكثر من الأب لتحول دون مسخ القومية المغربية إنني أعرف مع الأسف أن هناك عدداً من الأطفال لا يتجاوز عمرهم خمس سنوات يتحدثون مع أمهاتهم بالفرنسية والحالة أن آباءهم وأمهاتهم مسلمون، ومغاربة معاً، وهذا أسميه المسخ، وهذا الأمر سأحتار أنا وستحتارون أنتم في معالجته وسوف أفهمه ولا يفهمني وأكثر من ذلك كله أنه لن يفهم الفلسفة ولا الدافع الذي دفع بلاده لتخطيط هذا الأمر والقيام بذلك.

ومع كل أسف فان هذا الأمر شاع وذاع وكثر، وأقول إن الذين ابتلاهم الله بهذا الأمر أحسن وسيلة

أن يحثوا لأولادهم عن مكان للعيش بالخارج، فأولادنا لن يكونوا مغاربة ولا فرنسيين لأنك تجد أمهاتهم وآباءهم لن تقبلهم ولن ترضى بهم ولو للعيش هناك لأنهم لا يتوفرون على حقوق وفي المغرب سيكونون «كالفرارة» فوق الماء غير مندمج في المجتمع، فأنتن الحصن الحصين والدرع المنيع ضد هذا المسخ، فليكن المغاربة كيفما كانوا يكفي أن يبقوا مغاربة فما دام المغربي مغربياً أعتقد أنه ستبقى فيه الغيرة على بلاده، وسيدافع عن حريته وعن حقوقه وجميع مكتسباته سواء المكتسبات الجماعية أو الفردية ويدافع عن وطنيته وعلى حدوده وعلى علمه وعلى شرفه وعلى شخصيته، على شرط أن يبقى مغربياً، وكيفما كان فتفكيره السياسي شيء آخر فالانسان يمر بأطوار سنه.

في أحد الأيام سأل صحابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله : أو المؤمن يسرق ؟ قال نعم، أو المؤمن يزني قال نعم، قال أو المؤمن يكذب ؟ قال لا، فلم يفهم ذلك الصحابي الذي قال له النبي ذلك ان الزنا والسرقة لا يكونان إلا بالكذب، فبالطبع إذا لم يكذب لا يمكن أن يزني ولا أن يسرق هذا هو التفسير الحقيقي للحديث النبوي الشريف فإذا بقي المغربي مغربياً لا يمكن له في الحقيقة أن يكون شيوعياً يستحيل، ولا يمكن له أن يكون لا دينياً ولا يمكن له أن يكون محزباً ولا يمكن له أن يكون من الخنافس لأن «الخنفسة» ضد الرجولة وضد جنس الرجل، فأولائك الخنافس نوع أسميه أنا مخضرم من النوع القبيح، فالمغربي لا يمكن أن يكون من أصحاب الشعر الطويل ويفتخرون بالوسخ فإذا كان المغربي مغربياً حقيقياً ترتفع عنه جميع هذه الأوزار : أوزار الشك، أوزار الالحاد السياسي أوزار الالحاد الديني، أوزار عدم الاعتراف بخير بلاده، فأنتن اللاتي ستعينونني حتى لا يحدث هذا المسخ، في بيوتكن، ومع عائلاتكن بتربية أبنائكن.

وأخيراً قلت لكن انني سأتحدث لكن عن قوانينكن، وهذه القوانين مكتوبة في مشروع مرسوم.

لا أظن أن مستوى المذاكرة التي جرت الآن ولا الأفكار التي بثت فيكن الآن تقتضي بعض الأيام كي تتخمر، ولا أعتقد أن الظرف ملائم لكي أقول بأن مداخيلكن ستكون كذا أو مصاريفكن ستكون كذا وكل هذا مدروس في مشروع قانون، فستنتخبن لجنة من صفوفكن لتتذاكر مع الوزراء المختصين الذين سيفسرون لها نقطة فنقطة سيركن وتجمعاتكن، وأعتقد أن السيدات الموجودات هنا يمكن لهن غداً حضور الجلسة التي سيحضرها الوزراء ليقومون بهذا العمل، فمتى عدتن إلى منازلكن تعدن بالفائدة فجمعكن أي جمع 315 من الناس شيء مهم لا يمكن أن يحدث بسهولة، فيجب عليكن أن تبدأن في عملكن يوم الجمعة عارفات وسائلكن وإمكانياتكن وما هو اتصالكن بالسلطات المحلية وبالعمال وبرؤساء المصالح.

فلذا أنا أعتقد أن تجمعنا هذا سوف يكون إن شاء الله تجمع خير وبركة وإن الله سبحانه وتعالى سيتم علينا بالنعم، وقد قررنا أن نجتمع مرتين في السنة على الأقل، وأعتقد أنه في المرة المقبلة التي سنجتمع فيها تكون الآمال التي علقتها عليكن قد انتجت واثمرت، ولكن آخر ملتمس لدي ولا أقول أمر هو : «ديرو بوجهي، وحاولوا على أزواجكن».

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 19 صفر 1389 — 6 مايو 1969